الحساسية عند الأطفال

ذاعت كلمة الحساسية وانتشرت في السنوات الأخيرة انتشاراً رهيباً ؛ فأنت تسمعها من الطبيب ومن زميلك في العمل ومن أولاد الجيران وعلى القهوة وفي الأتوبيس لكأنما ظهر وباء خطير اسمه : الحساسية . وأمسك برقاب الناس فكل واحد أصبح عنده حساسية بل إني أسمعها في العيادة كل مرة أبدأ فيها بكتابة نوع من الحقن إذ تنظر إليّ الأم نظرة كلها عتاب ودهشة قائلة :

بس ده عنده حساسية .

وفي كل مرة أسأل حساسية ضد إيه ؟

أسمع إجابة مختلفة .

وفي اعتقادي أن سر شيوع هذه الكلمة هو كثرة استعمالها بادىء ذي بدء بواسطة الأطباء وتلقفها جمهور المرضى ووسائل الإعلام المختلفة حتى ذاعت بين الناس وأصبح المريض يستعملها كوسام على صدره ؛ فهو يقول بكل فخر « مش طلع عندي حساسية في القولون » أو بكل أسى « الولد المسكين عنده حساسية في الصدر إنما الحمد لله بيقول الدكتور إنه مش ربو ! » .

تظهر على الأطفال كثيراً في الشهور الأولى من العمر حبيبات صغيرة في اليدين أو القدمين أو بقع حمراء تظهر لتختفي بعد يوم أو يومين لتعود فتظهر ثانياً .

هذه الأرتكاريا لها أسباب كثيرة فهي قد تكون بسبب اللبن الصناعي أو الأكلات الخارجية التي بدأ الطفل يتناولها .

أو بسبب الصوف أو الحرير أو القطن ، هنا يثور السؤال « ضد أي شيء توجد الحساسية ؟ »

والإجابة إنه ما لم تكن المسائل واضحة بمعنى أن الأرتكاريا لا تظهر إلا عند استعمال البطاطين الصوفية أو عند أخذ عصير البرتقال مثلاً أو أكل البيض فالعلاج هنا هو

استبعاد المادة المسببة للحساسية .

أما إذا لم يكن لدى الأم أي ملاحظات بمعنى أنها لا تدري وأن التهم شائعة بين الملابس والأغذية والقطة التي في المنزل والنباتات المزهرة حول المنزل إن وجد فالحل الوحيد هو عرضه على الطبيب لتقرير أي نوع والجرعة اللازمة من الأدوية المضادة للحساسية .

أما أشهر الأغذية التي تسبب الحساسية فهي :

الموز ـ البرتقال ـ الفراولة ـ المانجو ـ السمك ـ البيض ـ اللبن ـ الجبن .

أما في الأنسجة فالنايلون والصوف من أشهرها ، وفي الأشياء المحيطة بالمنزل فأهمها هو شعر الحيوانات كالقطط والكلاب وريش العصافير الزينة والزهور وتراب السجاجيد والأبسطة .

كذلك كثيراً ما تلاحظ الأم وجود الالتهابات وتقرحات خلف الأذن عند ابنتها يتهم بغسل هذه المنطقة مرتين يومياً دون أي تحسن بل إن الحالة تسوء ولو دققت الأم النظر لوجدت أن هذه الالتهابات أو التقرحات أو الأكزيما كما سيدعوها الطبيب إنما نشأت فور أن لبست البنت الحلق الذهبي الذي أهدي لها عند مولدها وإن هذه الأكزيما ستزول فور خلع هذا الحلق .

ماذا عن الجهاز الهضمي ؟

تشكو أم الوليد أنها ماكدات تستعمل اللبن الصناعي في تغذيته إلا وفوجئت ببكائه الشديد وأعراض المغص تظهر عليه وقد تكون مصحوبة بقيء وإسهال شديد أو قيء دون إسهال أو إسهال فقط ...

ويبدأ الطبيب في فحص الحالة فيجد أن لا ارتفاع في درجة الحرارة ومستوى الأم الثقافي والصحي يكاد يؤكد أن الرضعة لم تلوث أثناء أو بعد تحضيرها .

كما يلفت نظره أن الحالة تزول فور وقف التغذية الصناعية .

وهذه الحالات رغم ندرتها إلا أنها موجودة وعلاجها طبياً هو أن يستبدل اللبن

الصناعي برضعة طبيعية أو بتجهيز رضعات صناعية من لبن الجاموس مع مراعاة تخفيفه كما يرشدنا الطبيب حسب سن الرضيع .

والسبب هنا أن اللبن الصناعي مجهز من لبن البقر ولهذا الطفل حساسية ضد اللبن وقد لا تظهر الأعراض هذه إلا بعد الأكلات الصناعية مثل عصير البرتقال أو المهلبية أو اللبن الزبادي أو البيض أو الجبن أو الموز أو شوربة الخضار .

وفي كل الحالات السابقة يكون العلاج هو وقف الأكلة المسببة للحالة مع علاج الأمراض الجانبية بمعرفة الطبيب .

وماذا عن الجهاز التنفسي ؟

وهذا الجهاز كما هو معلوم جزءان الجزء العلوي وهو الأنف والحلق والجزء الأسفل القصبة الهوائية والرئتان ...

والحساسية هنا تكون باستنشاق المادة المسببة وهي أتربة المنزل أو حبوب اللقاح أو بعض الزهور أو شعر الحيوانات الأليفة وريش طيور الزينة وأبخرة البويات المستعملة في طلاء الجدران أو لعب الأطفال .

وتظهر الحساسية هنا إما في الجزء العلوي على شكل زكام دائم لا يجدي معه العلاج .

وهنا ملاحظة هامة كثير بل كل النقط المستعملة في علاج الزكام تفيد بصفة مؤقتة في وقت الرشح ثم تظهر حساسية كيميائية في الأغشية المخاطية للأنف بسبب النقط المستعملة في العلاج ويتحول المريض إلى مزكوم بصفة دائمة ومدمن لنقط الأنف أو لأصابع الاستنشاق « إذا كان كبيراً » لا يستطيع التنفس إلا باستعمالها .

ولذا فإني أنصح كل أم ألا تستعمل نقط الأنف إلا التي يوصي بها طبيبها ولمدة قصيرة فقط أي عندما يكون مانعاً للطفل من الرضاعة .

إما استعمال النقط لأن الطفل « سيخنفر » أو « يشخر » أثناء نومه فهذا خطأ وعموماً نكرر النصيحة :« لا تستعمل النقط إلا بأمر الطبيب »

وإذا ما ثبت أن هذا الزكام نتيجة حساسية لمادة معينة فالعلاج الأمثل هو استبعاد هذه المادة المهيجة وبذلك يشفى الزكام .

أما في القصبة الهوائية والرئتين فالحساسية تظهر على شكل كحة وتزييق بالصدر وهي قد يصحبها ارتفاع في درجة الحرارة إذا كان السبب بكتريا أو بعض المواد الغريبة .

وقد تظهر على شكل نوبات كحة وتزييق بالصدر دون أي ارتفاع في درجة الحرارة إذا كان السبب تراب المنزل بما يحتويه من كائنات دقيقة وجزئيات من المنسوجات أو الزهور أو الريش أو الشعر .

وفي كلتا الحالتين فالعلاج هو الذهاب إلى الطبيب الذي سيتولى علاج طفلك بعد بحث حالته بالعلاج المناسب .

ولكن هنا كلمة مطمئنة فأغلب حالات الصدر أو الربو عند الأطفال كما يسميه البعض تتحسن مع نمو الطفل وتختفي تماماً حوالي سن العاشرة من العمر خاصة إذا عولج بواسطة الطبيب منذ بدء ظهور الأعراض عليه .

وكذلك يوجد ما يدعى خطأ بالحساسية ضد الفول :

وحقيقة الأمر أن بعض الأطفال يولدون بعيب خلقي عبارة عن نقص في أحد الخمائر « الأنزيمات » وكنتيجة لهذا النقص فإنهم عند تناولهم وجبة الفول أو مشتقاته يحدث تكسر في كرات الدم الحمراء وأنيميا حادة يستلزم علاجها نقل الدم لإنقاذ حياة الطفل .

وتحضرني هنا قصة أحد هؤلاء الأطفال :

رأيت الطفل وعمره ثمانية أشهر وجهه أبيض كالقطن بارد كالثلج بعد وجبة فول مدمس ...

ونقل الطفل للمستشفى وأعطي دماً ثلاث مرات وظلت أمه بجواره ثلاثة أيام بلياليها حتى اجتاز مرحلة الخطر .

وشرحت للأم قصة الفول وبعض أنواع الأدوية التي تؤثر على طفلها وكيف يجب أن تحافظ عليه واستمعت السيدة لي بكل اهتمام وحسن إصغاء ومرت ثلاثة أشهر وإذا بالسيدة تستغيث بي ثانية وأذهب لأجد الطفل في الحالة السابقة فبدأنا العلاج فوراً وأنا ثائر والسيدة تؤكد أنه لم يأكل فولاً ولم يأخذ أي دواء وأنا مصمم أنها لابد قد خالفت التعليمات ثم فجأة قالت :

« آه والله أديت له فول حراتي !! »

ونظرت إليها بدهشة قائلاً ما هو فول !وبنفس السذاجة قالت : لا ده فول حراتي مش فول مدمس !!

وهنا اكتشفت أني وقعت في خطأ ومن يومها أقول دائماً لمثل هذه الأم : « الفول المدمس ، الفول الحراتي ، الفول النابت ، الطعمية ، البصارة كلها ممنوعة لهذا الطفل !! » .

والآن ما تفسير هذه الظواهر التي تحدث في جسم الطفل وتحمل اسم الحساسية ؟

حين يدخل إلى الجسم أو يلامسه أي مادة غريبة عنه يبدأ الجسم في استدعاء وسائل دفاعه ضد هذه المادة وهي الكريات الدموية البيضاء والجسيمات المضادة،وتبدأ معركة بين الجسم والمادة الغريبة تنتهي بانتصار الجسم وموت هذه المادة إن كانت حية مثل البكتريا .

أو إن كانت ميتة مثل شظية خشب فتحتويها إفرازات الجسم وتتركها في موضعها .

هذه هي المعركة كما يجب أن تكون والخسائر هنا هي ما نلاحظه من ارتفاع درجة حرارة أو ظهور الخراريج والبثور على الجسم .

ولكن كثيراً ما لا تدور هذه المعركة بهذه الصورة بل تدور بصورة عنيفة حيث يجند الجسم كل أسلحته ويضرب بها ضرباً أهوج على طريقة « علي وعلى أعدائي » فيقتل الجسم المواد الغريبة ويقتل كذلك خلاياه هو نفسه ؛ وبذلك تظهر أعراض الحساسية بأشكالها المختلفة التي سبق شرحها .